مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN 2170-0370/E-ISSN 8127-2710
المجلد13- العدد1/2022 ،ص ص 275- 284

هدايا وعطايا المبعوثين الدبلوماسيين وأهدافها السياسية في البلاط المغربي في عهدي السلطانين أحمد المنصور السّعدي والمولى إسماعيل العلوي

1727-1672/1603-1578م

gifts from diplomatic envoys and their political goals to the Moroccan court during the reigns of Sultan Ahmed Al-Mansour Al-Saadi and Mawla Ismail Al-Alawi 1578-1603 / 1672-1727 AD

جلول بن قومار[1]
1 جامعة غرداية djelloul 66@yahoo.com

الملخص

من الوسائل الدبلوماسية المتعارف عليها لدى المبعوثين والسفراء، أهمية الهدية التي تقدم للحاكم المراد زيارته والذي تربطهم به، مصالح مختلفة يريدون تحقيقها من وراء هذه البعثة السفارية، لعلمهم بالدور وأهمية الهدايا المقدمة في التأثير على القرارات السياسية، وكذا تليين المواقف تجاه مسائل سياسية معينة، أو توجيه الآراء السياسية للحاكم نحو وجهة معينة ،تخدم مصالح البعثة الدبلوماسية أو إبطال قرارات السلم والحرب، وكلما كانت الهدية ثمينة وذات قيمة كلما كان سحرها وتأثيرها في القلوب أقوى وأشد، فقد ذكرت المصادر التاريخية التي أرخت للسلطانين أحمد المنصور السعدي 1578 ـ 1603م والمولى إسماعيل 1672 ـ1727م أنهما كانا يهتمان بالهدايا، التي كانت تقدم لهما من طرف الوفود والسفارات التي كانت تزور بلاط حكمهما، لأغراض سياسية مختلفة فقد وصف مؤرخ الدولة السعدية عبد الغزيز الفشتالي في كتابه مناهل الصفا ومآثر مواليا الشرفاء، هدايا الوفود التي جاءت مهنئة له بالنصر في وادي المخازن، وبالجلوس على العرش بشيء من الإعجاب والتعظيم ،ولا يخفى عن ذي عقل أن الهدايا في المجال الدبلوماسي ، تفتقر للنية الحسنة

الكلمات المفتاحية:

المبعثون ـ الدبلوماسية ـ أحمد المنصور السعدي ـ المولى إسماعيل العلوي ـ الهدية ـ العطية ـ بلاط الحكم ـ السفارات ـ المصالح ـ

Abstract

One of the
diplomatic means recognized by the envoys and ambassadors is the importance of the gift offered to the sovereign who is to be visited and with whom are linked different interests that they want to achieve behind this embassy mission because of their knowledge of the role and importance of gifts presented to influence political decisions, as well as to soften positions on certain political issues or direct the leader's political views to a specific destination that serves the interests of the diplomatic mission or overrides peace decisions and war

Historical sources dated from Sultan Ahmed Al-Mansour Al-Saadi 1578-1603AD and Al-Mawla Ismail 1672-1727AD mentioned that they were interested in the gifts presented to them by delegations and embassies that visited their yard for various Our honorable loyalists are the gifts of the delegations that came to congratulate him on his victory in the battle of wad el Makhzen and for sitting on the throne with a certain admiration and glorification

Keywords :

Ahmed Al-Mansour Al-Saadi, Al-Mawla Ismail, gifts, diplomatic, delegations, envoys and ambassadors

مقدمة:

كانت الهدايا والعطايا الدبلوماسية ولا زالت، وسيلة لقضاء المصالح، وتليين المواقف، وتحقيق المطالب بين الدول والكيانات السياسية، لما تحدثه هذه الأخيرة من تأثير على من يملك القرار، وقد ذكر الله في محكم تنزيله قصة بلقيس ملكة سبأ ،عندما أشارت على قومها بأن تبعث بهدية إلى نبي الله سليمان، لعلها تحقق ما كانت تصبو إليه وهو معرفة حقيقة نبي الله سليمان عليه السلام ،قال تعالى في كتابه:" **قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**" (النمل: 34، 35، 36.)

وقد شدّ انتباهي ،و أنا أقرأ في بعض كتب التاريخ عامة، والتاريخ الدبلوماسي للمغرب الأقصى الحديث خاصة، في فترة السّلطان أحمد المنصور الذهبي السّعدي"1578-1603" (أنظر التعليق ،رقم 1)والسّلطان مولاي إسماعيل العلوي" 1672-1727" (أنظر التعليق ،رقم 2) . ــ وهما من أشهر سلاطين المغرب في تاريخه الحديث ــ أنّ قناصل الدول الأوربية وكذا الدولة العثمانية يدخلون في شدّ وجذب مستعملين الليونة حينا ،والصرامة والقوة في أحايين كثيرة ،من أجل حل أزماتهم السياسية والدبلوماسية ،والقضايا التجارية مع السّلطانين أحمد المنصور الذهبي "1578-1603" والسلطان مولاي إسماعيل" 1672-1727" فكانوا يلجؤون في كل الأحوال إلى دبلوماسية الهدايا والعطايا، وتقديمها لهما مباشرة، أو إلى المقربين منهما ذوي النفوذ في بلاط الحكم ،من أجل تسهيل المهام التي من أجلها قدموا للمغرب .

1.I-الإشكالية:

تكمن إشكالية هذا البحث في التساؤلات التالية:

ما الوسيلة التي كان يستخدمها المبعثون الدبلوماسيون لبلاط الحكم في المغرب الأقصى لقضاء مصالحهم أو تسهيل مهامهم خلال حكم السلطانين أحمد المنصور الذهبي والمولى إسماعيل؟

هل كانت الهدية ذات القيّمة النفيسة تسرّع في الموافقة على المطالب؟

هل مكانة الهدية وقيمتها دليل على مكانة صاحبها السياسية والاجتماعية ؟

أ يمكن أن نقول:أن العطية والهدية في المجال الدبلوماسي تخفي وراءها دائما تحقيق منافع ومكاسب سياسية؟

2.I-العرض:

كان الموقع الجغرافي للمغرب الأقصى القريب من الشواطئ الأوروبية من الأسباب ، التي جعلته منطقة ساخنة، منفعلة بكثير من الأحداث الصّادرة من القارة الأوروبية ،خصوصا وأَن دولتي شبه الجزيرة الأيبيرية مهيئتان علميا وعسكريا للبحث عن مناطق النفوذ ، وعن المواد الخام لصناعتهما ،فقد اكتسب الأيبيريون السلاح الناري مع

بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، وبذلك كسروا قاعدة توازن القوى بين الشمال والجنوب ، حتى أنّ بعض المؤرخين أطلقوا على القرن السادس عشر قرن "البنادق" (الجمل عطا الله وعبد الرزاق،2002،ص52).

اشتدت الحملات الأيبيرية وخاصة البرتغالية منها على المغرب مما أدى إلى احتلال الكثير من مدنه الساحلية، فكان ردّ فعل المغاربة على غزو بلادهم عنيفا قويا، بعدما عجزت السلطة الوطاسية المتهاوية، للتصدي لهذه الهجمة وتخلت عن المواجهة ، وجد المغاربة أنفسهم أمام خطر داهم، يهدد كيانهم في الصميم فهبت القوى الشعبية متمثلة في الطرق الصوفية التي يكّن لها المجتمع المغربي كل تعظيم وتبعية وكل تقدير واحترام ويخضع لها كل خضوع (حركات إبراهيم ،1978،ص214، 215). فنظمت هذه الطرق الصفوف ،وجمعت الأموال وقام زعماؤها بالتعبئة مبرزين أهمية الجهاد في الشرع لردّ العدو عن دار الإسلام، و أنشأوا الخلايا الجهادية (نفس المرجع،ص214 ،215)

كان لظهور السّعديين (أنظر التعليق ،رقم 3) على مسرح الأحداث بالغ الأثر في الصراع البرتغالي المغربي و كان لانتصار وادي المخازن سنة 1578 أثرا كبيرا في تقوية مكانة المغرب الأقصى في نفوس خصومه التقليديين (الإسبان والبرتغاليين) والأتراك أيضا ؛ إذا اعتبرناهم خصوما بسبب الشقاق الذي كان يحدث بينهم و بين السّعديين إمّا على النفوذ أو على الخلاف الخفي حول مسألة خلافة المسلمين حيث نظر السّلاطين السّعديون إلى الأتراك العثمانيين،على أنّهم من جملة المماليك والموالي، بالرغم من أن المنصور لم يصرح ويجهر بذلك علانية خوفا ورهبة من قوة العثمانيين،إلا أنّه في قرارة نفسه كان يؤمن بذلك، ويجسده في ديوانه،وفي مجالسه فيتسمى بلقب الخلافة –أمير المؤمنين–وفي هذا الصّدد ذكر التمجروتي ما نصه:

« ...**إنّ الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وإن كانوا حملوا الإمارة** (أنظر التعليق ،رقم 4).**وقلدوا الأمر في الحقيقة نيابة وأمانة يؤدونها إلى من هو أحق بها وأهلها وهم موالينا و ساداتنا الشّرفاء ملوك بلاد المغرب الذين شرفت بهم الإمامة والخلافة وكل مسلم لا يقول عكس ذلك ولا خلافه، وقد أجمع المسلمون على أنّ الخلافة لا تنعقد إلا لمن هو من صحيح قريش**.(المناقب، باب مناقب قريش، 1290/3).. ».(التمكروتي علي ، 2007، ص165.)

و عقب انتصار وادي المخازن سنة 1578م ، تهاطلت على المنصور البعثات والوفود الدبلوماسية تحمل معها الهدايا والعطايا، مهنئة بالنصر أولا ،ولكسب ودّ أحمد المنصور والتعاون معه، في الكثير من القضايا المطروحة في الساحة الدولية آنذاك ثانيا ومن بين هذه الهدايا والعطايا أذكر:

I.3-هدية الملك الإسباني فيليب الثاني:

اتبع فيليب الثاني عقب انتصار المغرب في وادي المخازن سياسة التقارب الحذر معه؛ لعله يظفر بتعاون السلطان المنصور، أو على الأقل تحيّيده من الصراع بينه وبين الأتراك في شمال إفريقيا ، أو بينه وبين الإنجليز القوّة الصّاعدة التي يخشى من تهديدها ومنافستها ، وفي هذا المجال بعث فيليب الثاني سفارة هامة في أواخر جمادى الأولى

سنة 987هـ/ جويلية 1579م إلى المنصور تتألف من حوالي ستين شخصا ؛كانوا في رفقة السفير الإسباني حاكم مليلة دون "بيدرو فينكاس" الذي كان يرتدي بذلة رسمية فاخرة ، يرافقه الأب "دييغو مارين" (diego marine) المتضلع في اللغة العربية ، والمطلع على التقاليد الإسلامية وكان الوفد يحمل معه هدايا قيّمة من الجواهر التي كان أحمد المنصور مولع بها في سبيل تحقيق مطالب سياسية واستراتيجيه ،كان فيليب الثاني يخاف من أن يحصل عليها أعداؤه التقليديين من الإنجليز والأسبان والعثمانيين.(التازي ، 1988، ص142.)

وبالإضافة إلى المكاسب السياسية والإستراتيجية التي كان فيليب الثاني يريد الحصول عليها هي تسليم جثة الضون سيبستان–الملك البرتغالي القتيل في وادي المخازن– ليدفن في بلده لشبونة.ثم تأمين المدن الساحلية المحتلة وعدم مهاجمتها وفي هذا الصدد قال مجهول:

" ... **و طلب منه ألا يتحرك إلى سواحل البحر وأن يتفضل عليهم بأمان فأنعم لهم بذلك.**(مجهول ، 1994، ص65، 66.)ولم يجد المنصور مانعا من تحقيق ذلك لملك إسبانيا القوي الذي مازال المنصور يخشاه ويتفادى الصدام معه.(**بن قومار** ، 2010، ص67.)

وفي هذا الأمر ذكر عبد العزيز الفشتالي حجم الهدايا التي قدمها الوفد الإسباني إلى المنصور ؛ حيث كانت من العظمة والقيمة مما أدهشت الجميع حيث قال ما نصه :" **وقدموا بين أيديهم هديته المشتملة على كل نفيس من حجر الياقوت الكبير الحصيات المنتقى لذخائر الملوك انتزعت من تاج أبائه وأسلافه والذخيرة العظمى عند قومه وربعة مملوءة من حصباء الدر الفاخر وقصب الزمرد والتحف الدالة على همة مرسلها وعظمة المترف بها.**" (**الفشتالي** ، ص50.)

I.4–هدية الكاردينال "هونري" (Henri) حاكم البرتغال:

تواصلت زيارات الوفود الدبلوماسية على قصر المنصور بعد نصر وادي المخازن سنة 1578م ومن بين الوفود التي استقبلها المنصور وفد البرتغال المنهزمة.(مجهول ، ص65.) وقد قدم الوفد للمنصور هدايا وعطايا قيمة تعجب منها الناس في جمالها وكثرتها مما دفع بأحمد المنصور بعدم الضغط على البرتغال –وهي الدولة المنهزمة– بالتخلي عن بعض قواعد الاحتلال شمال المغرب كما كان متوقعا.(Braudel , 1966 , p63)بحيث كان ينتظر من أحمد المنصور بعد هزيمة البرتغال أن يسارع لتحرير الثغور التي احتلتها البرتغال وأن يغتنم الفرصة لتحريرها وهي في حالة من الضعف والتمزق.وهذا ما لم يفعله المنصور وهو الرجل المعروف بسياسة اغتنام الفرص والاستفادة من الوقت والظروف في حينها.

وصف عبد العزيز الفشتالي هدية الملك البرتغالي"هونري" (Henri) بإسهاب وبين دقائقها وإعجاب الناس بها حتى وصفهم وهم مجتمعون لرؤيتها كالفراش حيث قال ما نصه :" **وكان أسبقهم بلوغا لدار الخلافة صاحب البرتغال وكانوا قد بلغوا البريجة بجمادى الأولى ... فوفدوا عليه ووصلوا مراكش بهدايا مرسلهم وكان يوم**

بلوغهم يوما مشهودا عند أهلها تحدث الناس به دهرا لكثرة ما شاهدوا من تلك الهدية العظمى التي تفوق الحصر وإعجابهم من احتفال مهديها ... فتهافت الناس على رؤيتها تهافت الفراش وغصت بهم طرق المدينة وسككها وحطوا أثقالها بالديوان 300ألف دقات من ريال **الفضة وأنواع الحرير والخز والديباج والسندس وعجائب من طرق الهند...**".(الفشتالي، ص49.)

I.5-هدية صاحب القسطنطينية:

بعث السلطان العثماني مراد الثالث وفدا لتهنئة المنصور بنصر وادي المخازن ومعه هدية قيمة ذكرها عبد العزيز الفشتالي بقوله:

" ... **يقدمهم أبو الطيب فبلغوا الرسالة وأدوا الهدية وكان انتخب فيها خاقان ما انتقاه من الملابس الفاخرة وبعث معها بسيف محلى بديع الصنعة فاخر الحلى والزينة .... فاهتز لذلك أمير المؤمنين سرورا...** "
(الفشتالي، ص50.)

لكن المنصور تشاغل عن الوفد وتركهم لأيام ينتظرون مقابلته فأنزعج السلطان العثماني من هذا التصرف كثيرا وكادت الأمور أن تتطور وتخرج عن السيطرة لولا دهاء المنصور والإسراع إلى ترضية السلطان ،وفي ذلك ذكر صاحب كتاب نزهة الحادي ما نصه : "... **فقدموا عليه بهدية سنية وتشاغل المنصور عنهم وتركهم مهملين وتأخر عن جواب خاقان ملك القسطنطينية العظمى السلطان مراد ابن السلطان سليم التركماني فغاظه ذلك...**".(ألأفراني محمد، 2018، ص120.) وأعتقد أن إقدام المنصور على هذه المعاملة للوفد العثماني يعود للأسباب الآتية :

1- ردّ بذلك على موقف الأتراك المتآمر عليه، مع بعض قادة جيشه،بغرض الإطاحة به بعد الشهر الأوّل من مبايعته في أرض المعركة.

2- الاتصالات التي كانت بين الأتراك والمتمرد الأمير "داود بن عبد المؤمن"، والدعم الذي لقيه في ثورته ضد المنصور

3- إيواؤهم للأمير إسماعيل "ابن المعتصم عبد الملك"،الذي كان من الممكن أن يستعمل كورقة ضغط ضد المنصور وينازعه ملكه، بعد أن تزوج حسن فنزيانو.(أنظر التعليق ،رقم 5)بأرملة أخيه عبد الملك.(التازي ، 1988، ص50.)

واصل السّلطان العثماني "مراد الثالث" سياسة الاحتواء، ومحاولة ترويض المنصور بالقبول بالهيمنة العثمانية،والرضوخ ولو نسبيا لإرادته، وكسبه كحليف، يمكن أن يقف في وجه القوّة الإسبانية المهددة للطرفين، ولذلك بات من الضروري أن يعرض السّلطان على أحمد المنصور المصاهرة بينهما، لتزداد روابط المودة، والتقارب، ولاستمالة المنصور إليه، بتزويجه إحدى بناته (بن خروف ، 2006، ص217.)

وخاصة بعدما استطاع أحمد المنصور القضاء على ثورة ابن أخيه داود،ونجاح فيليب الثاني في ضم مملكة البرتغال إلى ملكه سنة 1580م (. *Chantal de la vaironne* ,1973,p395)

وظلت العطايا والهدايا الدبلوماسية تؤدي دورا هاما في البلاط المغربي سواء في عهد أحمد المنصور السعدي أو السلطان العلوي مولاي إسماعيل عند قضاء المصالح الدبلوماسية للدول وقد عبر عن دلك صراحة الأسير مويط "Mouete " (أنظر التعليق ،رقم 6)بقوله :

«...**أوّل ما يجب عليهم أن يفعلوه في نفس اليوم الذي يصلون فيه، أو في الغد، هو زيارة عامل المدينة وإتحافه بهدية ملائمة،حسب العادة والتردد بعد ذلك لزيارته لإجتلاب مودته** ...» (مويط، 1990م ،ص 145.)

لقد كان المولى إسماعيل مهتما كثيرا ومتشددا بشأن الهدايا و يصر على أن تكون الهدية تساير مقامه السّامي كسلطان، فقد استهزأ بهدية الهولنديين وأعابها حيث قال:

«...**فما ألقينا فيها تحفة مليحة ولا عدّة صحيحة ...وإن كان فيها حويجات من التّحف فقد أفسدها هوى البحر...وليس فيها ما يهديه النّاس لأمثالنا ولا ما تقصد به الملوك من الأقطار البعيدة**...»(جادور، 2011،ص379.)

I.6-هدايا الأسبان للمولى إسماعيل:

. إطلاق الأسرى الأطفال الرضع كهدية للمولى إسماعيل:

توترت العلاقات وتشنجت المواقف السّياسية والدبلوماسية بين المولى إسماعيل والإسبان، بسبب إحتلال الثغور المغربية و قد أدّى ذلك –كما سبق ورأينا –إلى المواجهة العسكرية،التي نتجت عنها آثارا سياسية وإجتماعيةعديدة ومنها كثرة الأسرى بين البلدين، وبخاصة لدى المولى إسماعيل والتي تجاوزوا المئات من الأسرى الإسبان والكثير منهم أصحاب رتب عسكرية رفيعة ومكانة إجتماعية مرموقة،مما دفع بالبلاط الإسباني، أن يفاوض المولى إسماعيل حول إفتداء الأسرى لديه، وقد وجد المولى إسماعيل الفرصة سانحة للضغط على الإسبان بإطلاق الأسرى المسلمين لديهم ولتحقيق الإسبان هذا الغرض لتحرير أسراهم،حاولوا بطرق دبلوماسية وسياسية مختلفة،ومنها تقديم الهدايا لسّلطان المغرب لعله يغيّر مواقفه السّياسية من مسألة الأسرى الإسبان،ومنها أنّ ملك إسبانيا أطلق الأسرى المغاربة مع سائر ما يملكون وتقديم الأسرى الأطفال الرضع كهدية للمولى إسماعيل، وكان القصد من ذلك تمهيد الطريق للتفاوض في أمر المئات الباقية من الأسرى الإسبان (التازي ، 1988، ص112.)

بل إنّ معاهدة مغربية هولندية تضمنت شرطا يربط تنفيد بنود المعاهدة وإمضاء مقتضياتها بوصول الهدية حيث يقول ما نصه :

«.... **فالشّروط المذكورة أعلاه رأيناها ولكن لا نبرمها ونكمل فيها حتى تصلنا الهدية التي تكلمنا بها مع القنصل والتجار فحين حلول ذلك فحينئذ نكمل المهادنة ونبرم السلام**..... » (اليفرني ،1995.ص96 .)

I.7- هدايا فرنسا للمولى إسماعيل:

تبادل السّفير ابن عائشة مع الملك الفرنسي "لويس الرابع عشر" الهدايا عشية توديعه بالرغم من سوء التفاهم بينهما، وكانت هدايا السّلطان للملك الفرنسي عبارة عن سرج مذهب على النمط المغربي الناذر،وجلد نمر،وثمانية قطع من الحايك،وخمسة جلود أسود،وقد قال السّفير أن هداياه بسيطة لاترقى لمقام الملك (السويكت ،2004.،ص72.)

واعتقد الملك الفرنسي، بأنّه يمكن له أن يأخذ من السّفير ابن عائشة بعض التّنازلات،ويؤثر على سير المفاوضات بإغراقه بالهدايا القيمة، إلاّ أنّ السّفير لم يكترث كثيرا بهذه الهدايا، وقد خاب أمل الملك الفرنسي في ذلك، وقد أكد الدبلوماسي الفرنسي بريتويل هذا التوجه لدى البلاط القرنسي بقوله:عندما أراد تقديم الهدايا لابن عائشة:

«**لو قبل بالشروط التي عرضوها عليه فإنّهم سيقدمون له هدايا معتبرة له ولسيّده السّلطان**...» (السويكت ،2004.،ص72.)

وكانت الهدايا التي قدمت له تتكون من ساعتين سلسلتين من الذهب، وبنادق ومسدسات مطلية بالذهب، وكانت جميع السّاعات المقدمة للوفد المغربي بالأرقام العربية((نفس المرجع،ص73.) ومن النصائح التي أفاد بها الأسير مويط التّجار المسيحيين في عهد المولى إسماعيل إذا أرادوا ضمان تجارتهم في المغرب،هو تقديم الهدايا حيث يقول مانصه:

«...**أوّل ما يجب عليهم أن يفعلوه في نفس اليوم الذي يصلون فيه، أو في الغد، هو زيارة عامل المدينة وإتحافه بهدية ملائمة،حسب العادة والتردد بعد ذلك لزيارته لإجتلاب مودته** ...») (مويط ، 1990م ،ص 145.)

وفي رسالة وجهها المولى إسماعيل للملك الفرنسي لويس الرابع عشر سنة 1684م، يلومه على عدم الوفاء بما وعد به،من تزويد المغرب بالسلاح، ويعتبر معاهدات الإنجليز أكثر نفعا وهم أوفى قولا من الملك الفرنسي ويستهزئ بهدية الملك الفرنسي حيث يقول:

«**من أمير المؤمنين[...] الشريف الحسني أيده الله [...] إلى عظيم الروم لويس الرابع عشر أما بعد فاعلم أن الذي ظهر لنا أن ليس عندك قول صحيح[...] فالإنجليز تكلموا معنا كلمة وقبضنا ووفوا بها فحين ذهب خديمنا لبلادهم [...]فرحوا به وأكرموه وبروا به وأتى من عندهم بعشر مائة مكحلة وستة عشر مائة قنطار من البارود ثم بعد ذلك قدم لعلي مقامنا صاحبكم انبشدور وأتانا بشيء من الخرو** (أنظر التعليق ،رقم 7) **مع فالصو حرير** (أنظر التعليق ،رقم 8)

خاتمة:

استخدمت الهدية كتقليد قديم، ولا زالت في المجالات السياسية والدبلوماسية في بلاط الحكم، إما لقضاء مصالح أهداف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو اجتماعية أو في أي مجال من المجالات، والتعبير عن حسن النوايا وظلت الهدية وسيلة لتليين المواقف، أو إبطال القرارات وتوجيه الروئ السياسية إلى اتجاهات معينة، تخدم صاحب

الهدية، فكثيرا ما تغيرت المواقف الحربية بسبب تقديم هدية للحاكم، ولنا في تعامل أحمد المنصور السعدي مع السلطان العثماني محمد الثالث أكبر الأثر، حين غضب من سياسته والتي اعتبرها السلطان العثماني عدائية ،فقرر غزو المغرب بتوجيه حملة عسكرية يقودها حاكم الجزائر العلج علي لكن السلطان المغربي تفطن لذلك وسارع إلى إرسال سفارة إليه تحمل الهدايا القيمة والتي كان لنا وقع طيب في نفسيته فتخلى عن الحملة العسكرية .

فالعمل الدبلوماسي كما ذكرت الباحثة صبحة بغورة :

"حقل شاسع من ألغام الكلمات والابتسامات والمصافحات لا يمكن لأحد أن يضمن بعض صدقها أو تمام زيفها.(بغورة،2019،ص 144.)

I 1 التعليقات:

1ـ هو أبو العباس أحمد المنصور السعدي بن محمد الشيخ المهدي بن محمد القائم بأمر الله الزيداني الحسني، ولد بفاس سنة 956هـ/1549م في أسرة مالكة لعرش المغرب، وأمه الحرة مسعودة بنت الشّيخ أبي العباس أحمد بن عبد الله الوزكيتي،التي تبوأت مكانة سامية في قلوب المراكشيين، بما قدمته لهم من معروف وإحسان وما شيدته من مؤسسات خيرية كبرى نذكر منها المسجد الكبير الذي خصّصت له الكثير من الأوقاف (ينظر بن عثمان: عدد خاص، عدد 5 ،جوان جويلية 1936 ، ص ص 10-11.)

2 ـ هو إسماعيل بن مولاي علي الشريف العلوي والمعروف بمولاي إسماعيل ولد بسوس عام خمسة وستين وألف هجرية الموافق لـ 1645م،ومنهم من يرجع موضع ولادته بتافيلالت بالقصر المعروف بأبجار، وذهب بعضهم ومنهم المؤرخ الضعّيف أنّه ولد عام وقعة القاعة. (ينظر الرباطي الضّعيف، 1986، ص 9.)

3 ـ أن أصل الأشراف السعديين من الحجاز، وهم ينتسبون إلى ولد محمد النفس الزّكيّة، وسبب قدومهم إلى المغرب أن أهل "درعه" كانت ثمارهم لا تصلح، فقيل لهم : لو أتيتم بشريف إلى بلادكم -كما أتى أهل سجلماسة - لصلحت ثماركم . للمزيد من الإطلاع (ينظر الناصري ، ج5 ، 1955، ص3.)

4 ـ المقصود بذلك الأتراك العثمانيين الذين ورثوا الخلافة عن الخلافة العباسية

5 ـ هو حسن فنزيانو حاكم الجزائر من 985هـ-988هـ/1577م-1580وفي المرة الثانية من 991هـ-993هـ/1583-1585م تزوج بزوجة عبد الملك السّعدي ابنة حاجي مراد التركية، وعندما توفي عبد الملك السّعدي، تزوجها حسن فنزيانو كفيل الأمير إسماعيل. (ينظر بنعلة، 2011.،ج1،ص 223.)

6 ـ جيرمان مويت) بالفرنسية (Germain Moüette : ويُعرف كذلك ب» مُويط) «ولد في بونيل، - 1651 توفي في بونيل حوالي 1691؛ هو كاتب فرنسي ، اختطف من قبل قراصنة سلا، و سجن في الرباط و سلا و مكناس ، في عهد السلطان مولاي إسماعيل، لمدة أحد عشر سنة. غداة عودته لفرنسا، سنة 1683، أصدر كتابين يعتبران من المراجع المهمة التي تصف بدقة الواقعين السياسي والاجتماعي للمغرب في

القرن السابع عشر: سيرته الذاتية سرد لسجن السيد مويت في مملكتي فاس والمغرب، اللتان ظل فيهما إحدى عشرة سنة، و تاريخ فتوحات مولاي رشيد، ملك تافيلالت، ومولاي إسماعيل، أخيه ووارث العرش،(ينظر الموسوعة الحرة.)

7 ـ كلمة لم أصل إلى معناها،وربما المقصود بها نبات الخروب بعد سقوط حرف الباء من الكلمة ،والذي لا يصلح أن يُهدى للسلاطين،وتعني الخروبة كذلك قطعة صغيرة من النقود النحاسية قيمتها عشر دراهم،(ينظر نجم،2006،ص219.)

8 ـ تعني الرديء وغير الأصلي من لباس الحرير.

11 I المراجع والإحالات:

القرآن الكريم: سورة النمل الآيات،(34، 35، 36.)

الحديث الشريف، المناقب، باب مناقب قريش، 1290/3، حديث 3310.

1ـ المصادر باللغة العربية:

ـ ألأفراني ،محمد، 2018، (**نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي)** ، دمشق ، دار العراب للدراسات والنشر والترجمة .

ـ ،1995، (**روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشّريف)**، الرباط ، المطبعة الملكية.

ـ التمكروتي ،علي، 2007، (**النّفحة المسكية في السفارة التركية** 1589)، أبو ظبي الإمارات ،دار السويدي للنشر والتوزيع.

ـ الفشتالي ،عبد العزيز،دت،(**مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**)، الرباط، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة

ـ بن القاضي أحمد، 1986م (**المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**)، الرباط ،مكتبة المعارف.

ـ الرباطي، محمد الضّعيف،1986.(**تاريخ الضعيف، تاريخ الدولة السّعيدة)**. الرباط . ،دار المأثورات .

ـ مجهول ،1994، (**تأريخ الدولة السعدية الدرعية التّاكمادرتية**) ، المغرب دار تينمل للطباعة والنشر .

ـ بنعلة ،مصطفى،2011، (**مجموعة ظهائر ورسائل السّعديين)** ، الرباط، مطبعة نيت.

2ـ المصادر المعربة:

ـ مويط ،جرمان، 1990م ، (**رحلة الأسير مويط)**، المغرب ،وزارة الثقافة المغربية،دار المناهل للطباعة والنشر.

3 ـ المراجع باللغة العربية:

ـ بغورة صبحة،2019 ،(**مراجعات في حديث السياسة مع الفن والأمن والتاريخ)** ط1، دار النشر اللندنية ، E-KUTUB

ـ التازي عبد الهادي،1988، (**التاريخ الدبلوماسي للمغرب)** ، ج8 ، مطابع فضالة ، المحمدية ، المغرب.

ـ الجمل شوقي و عبد الرزاق،2002، (**تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر)**، دار الزهراء ،الرياض.

ـ جادور محمد، 2011، (**مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب)**،مؤسسة الملك عبد العزيز،الدار البيضاء المغرب.

ـ حركات إبراهيم، 1978،(**المغرب عبر التاريخ)** ، ج 2 , دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء .

ـ بن خروف عمار، 2006،(**العلاقات السّياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي)** ،دار الأمل للنشر والتوزيع،ج1،الجزائر.

ـ السويكت فهد،2004 ،(**سفارة عبد الله بن عائشة إلى بلاط لويس الرابع عشر1110هـ–1698م،أسبابها ونتائجها**)،الجمعية التاريخية السّعودية.

ـ الناصري، 1955،(**الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**)، ، ج5 ، دار الكتاب ، الدار البيضاء .

ـ نجم زين العابدين، (**معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية**)، ،المملكة العربية السعودية.

3ـ المراجع باللغة الأجنبية

Fernand Braudel , 1966 ,(La **Méditerranée** et le **Monde méditerranéen** à l'**époque** de **Philippe II)** , T2 , Armand colui , Paris

4ـ الرسائل الجامعية:

ـ بن قومار جلول،(2010)،" **معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع جول غرب أوروبا –البرتغال، إسبانيا ،فرنسا، 1578–1603**" رسالة ماجستير غير منشورة ،إشراف الدكتور عمار بن خروف، تخصص تاريخ حديث ، المركز الجامعي غرداية.

5ـ المقالات:

ـ. بن عثمان محمد،1936 ،(**المنصور الذهبي**) في مجلة المغرب، السنة الخامسة، عدد خاص، عدد 5 ،جوان جويلية ،الرباط

ـ السويكت فهد،2006 ،(**موقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية**) مجلة جامعة الملك سعود ،مجلد 19،كلية الآداب الرياض .

ـ *de la vaironne chantal, 1973,(**Relations entre le Maroc et la Turquie dans la seconde Moitie du 16 siècle le début du17 siècle 1554/1616)**,in, R. O . M .M , ,vol15, , n° 15 -16*